Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (7), Issue (5) June (2025)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

الاصلاحات الداخلية الروسية في عهد الامبراطور بولس الاول١٧٩٦-١٨٠١

م.د اسراء عبد الكريم ظاهر/ المديرية العامة للتربية في محافظة البصرة

Russian Domestic Reforms during the Reign of Emperor Paul I 1796-1801

Dr. Asraa Abd Al-kreem Taher /General Directorate of Education in Basra Governorate
Email: Asraakareem30@yahoo.com

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة التاريخ في عهد الامبراطور بولس الاول، وتحديدا اهم التشريعات لهذا الملك واكثرها اثارة للجدل، اذ سلط الضوء على طبيعة السياسة الداخلية له، وخاصة فيما يتعلق بمشكلة العبودية وتسوية هذه القضية من قبل السلطة، وكذلك التشريعات التي تعلقت بمكانة النبلاء التي تزعزعت بعد وفاة الامبراطورة كاترين الثانية، والذي انعكس بدوره على ادخال اصلاحات وقوانين جديدة تعلقت بالمؤسسة العسكرية ورجال الدين العسكريين وصولا الى تحسين اوضاع الكنيسة، والتي ادت جميعها في نهاية المطاف الى التآمر عليه وقتله وبالتالي ازالته من السلطة.الكلمات المفتاحية (بولس الاول– العسكرية– التنظيمية)

Abstract:
This research examines the historical period during the reign of Emperor Paul I, focusing specifically on his most significant and controversial legislations. It highlights the nature of his domestic policies, particularly concerning the issue of slavery and how the authorities attempted to resolve it. The study also explores the legislations affecting the status of the nobility, which had been destabilized following the death of Empress Catherine II. These changes led to a series of reforms and new laws involving the military institution and military clergy, ultimately contributing to the improvement of the Church's conditions. Collectively, these policies and reforms played a role in provoking opposition that culminated in the Emperor's assassination and his removal from power.Keywords (Paul I-Military-Organizational)

المقدمة

يعد عهد الامبراطور بولس الاول ١٧٩٦–١٨٠١ القصير فترة مميزة في تاريخ البلاط الامبراطوري الروسي، كما انه يعتبر اكثر الاوقات اثارة للجدل في روسيا، وامتازت فترة حكمه بتحديات سياسية واجتماعية وعسكرية ودينية، اغلبها نتجت عن الارث الثقيل الذي تركته الامبراطورة كاترين الثانية، اذ كانت سياسته استبدادية تهدف الى استعادة السيطرة الامبراطورية، غير انها تعارضت مع سياسة النبلاء والفساد المستشري في اعماق الدولة، وعلى الرغم من الطموحات الواسعة التي حاول تحقيقها للنهوض بروسيا كدولة حديثة والتخلص من قيود الماضي، غير انه خلق بيئة من عدم الاستقرار السياسي بينه وبين طبقات المجتمع المؤثرة، اذ انه لم يكن مجرد امتداد لسلفه، وانما حاول منذ بداية حكمه ان يعيد تشكيل العلاقة بين الامبراطور والدولة، ويضع حدا لنفوذ النبلاء المتزايد الذي كان بنظره خطرا على وحدة البلاد ارتأت الباحثة الى اتباع منهج علمي يستند على وحدة الموضوع، اذ قسم البحث الى مقدمة استعرضت نبذة مختصرة عن الاوضاع العامة لروسيا عند توليه السلطة ومدى تأثير سياسته على تلك الاوضاع. تناول المبحث الاول شخصية الامبراطور بولس الاول واصلاحاته الادارية والتنظيمية. فيما جاء المبحث الثاني ليناقش اهم الاصلاحات العسكرية والدينية حتى وفاة الامبراطور. وتضمنت الخاتمة اهم الاستنتاجات التي توصل اليها موضوع البحث.

المبحث الأول شخصية الامبراطور بولس الاول والاصلاحات الادارية والتنظيمية١٧٩٦-١٨

مرت على رأس السلطة في روسيا شخصيات عدة, كان لها تأثيرا واضحا على مجريات الاحداث السياسية في التاريخ الروسي, ليس خلال مدة حكمهم فحسب, وانما بعد وفاتهم ايضا؛ لأنها حددت سياسة البلاد الداخلية لسنوات طويلة, ومن ابرز تلك الشخصيات الامبراطورة كاترين الثانية Catherine II ١٧٦٢-١٧٩٦[١], التي اعتلت العرش وحال استلامها للسلطة عام ١٧٦٢، اعلنت انها ستحكم البلاد لمدة تسع او عشر سنوات، لحين بلوغ ولدها الامبراطور المستقبلي بولس الاول Paul I ١٧٩٦-١٨٠١[٢], السن القانوني اذ كان عمره ثمان سنوات آنذاك، وعندما استحق تسلم ولاية العرش لم تتيح له المجال، بل تكتمت عمدا عن اعلان ذلك بشكل رسمي لغرض الاحتفاظ بالسلطة لنفسها[٣]. ولم تسمح له بالتدخل في منح الجوائز والمناصب والرتب العسكرية في البلاد، الا انها في الوقت نفسه قامت باستدعائه لأول مرة وبشكل صوري في ايار عام ١٧٨٣ لمناقشة المسألة البولسندية وضم شبه جزيرة القرم الى روسيا، غير انها سرعان ما اخذت بالتضييق عليه، خاصة بعد ان حضر بعض اجتماعات مجلس الشيوخ والتدخل في حل قسم من المشاكل الحكومية، الامر الذي حملها الى استبعاده واعلنت ان ولدها غير قادر على ادارة شؤون البلاد[٤] وبعد ولادة الابن الاكبر لبولس الاول الكسندر الاول Alexander I ١٠٨١-١٨٢٥[٥], فكرت الامبراطورة في امكانية نقل العرش الى حفيدها متجاوزة بذلك ولدها، الامر الذي عزز مخاوف الاخير من التطور السريع في تلك الاحداث، خاصة بعد ان قامت بتزويج بوقت مبكر، وظهر ذلك من خلال وصية اودعتها لدى سكرتيرها الخاص بيزبورودكو في ايار عام ١٧٩٢ وتحدثت فيها عن زواج الكسندر الاول، وانه بمرور الوقت سيتم تتويجه بجميع انواع الاحتفالات والمهرجانات الشعبية ليصبح وريثا للعرش الروسي[٦]واختلف المؤرخون حول مسألة استبعاد كاترين الثانية لودها عن الحكم، فمنهم من ذكر ان النبلاء المتواجدين في السلطة طوال مدة العشر سنوات مع الامبراطورة رأوا انه يحكم لصالح الطبقة الحاكمة وكان يفعل ما يريده النبلاء داخل القصر الملكي وبناءً على ذلك قرروا انه من الافضل ترك سلطة البلاد، للإمبراطورة الام الموثوق بها[٧]وذكر اخرون ان كاترين الثانية لم تكن لديها حقوق قانونية بالعرش طالما كان هناك وجود الوريث الشرعي وبذلك فانه من الممكن في اية لحظة يقوم الاخير باسترجاع حقوقه الشرعية، الامر الذي ولد الكراهية بين الام وولدها[٨]، اما الرأي الثالث فذكروا ان بولس الاول لم يكن محبوبا لدى والدته لأنه كان يشبه والده الى حد كبير الامبراطور بطرس الثالثPeter III ١٧٦١-١٧٦٢[٩],والذي كانت تكرهه كثيرا. ومهما يكن من الامر فان الامبراطورة كاترين الثانية قبضت بيد من حديد على زمام الامور داخل روسيا، وقيدت الشعب من نواحي عدة، اذ لم تكن هناك حرية في التعبير عن الرأي، واستمر فرض القيود على مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى وفاتها عام ١٧٩٦[١٠]وتجدر الاشارة الى انه في عشية وفاة الامبراطورة كان رجال الحاشية ينتظرون بيانا يصدر بشأن عزل بولس ونفيه، واعلان الكسندر الاول امبراطورا جديدا على روسيا وفقا للوصية السرية المسبقة للإمبراطورة الراحلة، غير ان الامور انقلبت رأسا على عقب عندما قام بيزبورودكو بتدمير الوصية واحراقها وكان ذلك بأشراف بولس الاول نفسه، اذ اصبح من المقربين للإمبراطور الجديد فيما بعد وعين مستشارا خاصا له. وبالتالي لم يعد هناك اي سبب لصراعات محتملة او حتى لحرب اهلية مسلحة في المستقبل[١١]على ما يبدوا ان تلك الظروف الخاصة بخلافة العرش حددت سياسة الدولة الداخلية مسبقا الى حد كبير، اذ ان الامبراطور الجديد احدث امورا كثيرة في سياسته، ليس لأنه اراد تحقيق شيء ايجابي فحسب، وانما اراد فعل ذلك تحديا للتصرفات التي قامت بها والدته تجاهه.اعتلى الإمبراطور العرش في السادس من تشرين الاول عن عمر ناهز اثنان واربعون عاما، اذ توج بولس الاول رسميا كإمبراطور جديد للبلاد في الخامس من نيسان عام ١٧٩٧[١٢]. وذلك في اول ايام عيد الفصح. وكغيره من الحكام في ذلك الوقت نشأ على يد افضل المعلمين النبلاء، وتعلم تعليما جيدا، وكان يتقن العديد من اللغات وتحدث الالمانية والفرنسية والانجليزية بطلاقة، فضلا عن اللغة الروسية[١٣]. وفي نفس اليوم الذي توج فيه بدأ يعمل بشكل حاسم في كسر النظام الذي انشأته والدته واصدر قانونا جديدا قرأ علنا امام الحاضرين، بشأن وراثة العرش والذي وضع حدا لانقلابات القصر وحكم المرأة في روسيا، والتي استمرت قرنا من الزمن، اذ وضع قواعد للوصاية تم بموجبها استبعاد النساء فعليا من وراثة العرش، وبموجب هذا القانون نقلت وراثة العرش الى خط الذكور حصرا من خلال نقل السلطة من الاب الى الابن فقط، وفي حال عدم وجود ابناء تذهب الى الاخ الاصغر للإمبراطور المتوفي[١٤]وتأسيسا على ذلك فان الامبراطور الجديد اخذ يفقد ثقته بالنبلاء، واعتبر ان عصرهم الذهبي قد انتهى في روسيا، لذلك فانه اتجه الى اضعاف نفوذهم، فمنذ الخامس عشر من تشرين الثاني عام ١٧٩٧ اصدر مراسيم عدة منع بموجبها النبلاء الذين تم فصلهم من الخدمة المشاركة في الانتخابات، وخفض عدد ناخبيهم، ومنح المحافظين في المقاطعات الروسية الحق في المشاركة في الانتخابات، كما منع النبلاء من تقديم الالتماسات الجماعية، وكذلك الغيت المجالس الاقليمية النبيلة، والغى حق الجمعيات النبيلة من انتخاب مستشارين للقضاء من بينهم، ولم يكتفي بذلك فحسب، بل ذهب الى ابعد من ذلك عندما قرر امر محاكمة النبلاء المتهربين من الخدمة المدنية والعسكرية. الامر الذي ولد فجوة كبيرة بينهم وبين الامبراطور، لانهم كانوا في عهد والدته يتسلمون اموال طائلة دون القيام بخدمة فعلية تنفع البلاد[١٥]ومن المهم التطرق الى انه في وقت لاحق اصدر الإمبراطور مراسيم جديدة ضد النبلاء، حضر بموجبها اقامة الحفلات والسهرات الى

وقت متأخر من الليل، وعين لذلك الامر فرقة خاصة تسير في انحاء العاصمة سانت بطرسبورغ لرصد اي مخالفة تكمن في فتح الانارة العالية واقامة الحفلات بعد الساعة العاشرة مساءً، وفرض غرامة مالية على كل من يخالف تلك الاوامر، قد تصل الى السجن في بعض الاحيان[١٦].

يتضح من خلال ما تقدم ان الإمبراطور بولس الاول كان يدرك جيدا انه في حال استمرار النبلاء يتمتعون بالنفوذ ذاتها الذي كانوا عليها ايام الامبراطورة كاترين الثانية، فلم يتمكن من السيطرة على البلاد وفرض شخصيته كإمبراطور على جميع روسيا، لذا كان من الطبيعي ان يحد من امتيازاتهم ويقلل من تدخلهم في شؤون السلطة.وفي هذا السياق تجدر الاشارة الى ان بولس الاول نجح في تنفيذ عدد من الاصلاحات التي كان الهدف منها زيادة مركزية الدولة، اذ استعاد الكليات التي الغيت في عهد كاترين الثانية، وبعض الهيئات الحكومية التقليدية في دول البلطيق وأوكرانيا الواقعة تحت السيطرة الروسية، وخفض عدد المقاطعات الروسية من خمسين الى واحد واربعون مقاطعة، وخضع نظام الحكم المحلي في روسيا لتغييرات كبيرة آنذاك، خاصة بعد ان قام بتصفية عدد من المحافظين في المقاطعات الروسية، واغلاق بعض اماكن الاعمال الخيرية العامة، والحقت عدد من الهيئات الحكومية بجهاز الشرطة، كما خضع النظام القضائي هو الاخر للإصلاحات ايضا، اذ دمجت غرف المحاكم المدنية والجنائية في غرفة واحدة، وتم تعزيز دور مجلس الشيوخ كهيئة قضائية[١٧]نستنتج من ذلك ان كل تلك الاجراءات التي قام بها الامبراطور بولس الاول كانت تهدف الى تقوية سلطة الدولة على حساب المؤسسات الادارية والطبقية المحلية، وبالتالي يمكنه الانفراد بالسلطة دون اي تأثير او معارضة من قبل اي جهة محليةويمكن القول ان الامبراطور بولس الاول كان مؤيدا قويا للعبودية، واعتقد ان ملاك الاراضي يعتنون بفلاحيهم بشكل افضل من الدولة، ومن الناحية العملية ادى ذلك الاعتقاد الى قيام الحكومة بتحويل الفلاحين بشكل واسع النطاق من سلطة الدولة الى ايدي القطاع الخاص، ومن ناحية اخرى كان الإمبراطور يدرك جيدا خطر تعزيز القنانة بشكل مفرط، وان الاقنان لم يكونوا عاملين في الارض فقط وانما رعايا له ايضا، وادرك جيدا ان السلطة غير المنتظمة لأصحاب الارض على الاقنان قد تؤدي في نهاية الامر الى زيادة استقلال النبلاء عن الملك، ويذكر انه في اواخر عام ١٧٩٦ امتدت العبودية الى الاراضي التي تم ضمها حديثا الى روسيا مثل شبه جزيرة القرم والقوقاز[١٨]ويذكر انه في بداية عام ١٧٩٧ تم فرض الحظر على بيع الفلاحين في المزاد دون وجود ارض يعملون فيها، وفصل العائلات اثناء البيع في المقاطعات، وامر المحافظين بمراقبة موقف ملاك الاراضي تجاه الفلاحين في حال وجود معاملة قاسية حيالهم، وشدد على ابلاغ السلطات المعنية على الفور في حال اكتشاف اية انتهاكات ضدهم، وفي العام ذاته اصدر الامبراطور بيانا بشأن السخرة، وحددت بموجبه الدولة ان تكون السخرة للفلاحين من قبل ملاك الاراضي لمدة ثلاثة ايام في الاسبوع، كي يتمكن الفلاح من العمل لنفسه في الايام الثلاثة المتبقية، على ان يكون اليوم السابع الاحد عطلة حسب شرائع الكنيسة الارثوذكسية، وامر الاقنان بطاعة ملاك الاراضي تحت طائلة العقاب[١٩]ولقد عد بيان السخرة لثلاثة ايام مهما جدا لدى الشعب الروسي، اذ لأول مرة يعلن امبراطور روسي بشكل صريح عن فكرة الحد من العبودية في روسيا، واصبحت هذه سابقة من نوعها، ورأى خلفائه فيما بعد انه من الضروري اتخاذ خطوات جدية لحل مشكلة العبودية في روسيا[٢٠] وبموجب مرسوم صدر في التاسع عشر من ايلول عام ١٧٩٧ الغي واجب الفلاحين في الاحتفاظ بالخيول للجيش وحراستها وتوفير الطعام لها مجانا، وبدلا عن ذلك بدأوا يتقاضون خمسة عشر روبل لكل رأس من الخيل التي يعتنون بها، فضلا عن الراتب الفردي الذي يتقاضوه من الدولة، وفي الوقت نفسه الغيت ضريبة الحبوب التي كانت مدمرة للفلاحين، واعفو عن دفع ما بذمتهم من ضريبة الرأس، وخفضت اسعار الملح، واخذت الدولة ببيع احتياطي الحنطة للمخابز بأسعار اقل مما كانت عليه في السابق، وبالتالي ادى ذلك الاجراء الى انخفاض ملحوظ في اسعار الخبز[٢١] يتضح من خلال المعطيات السابقة ان الامبراطور الجديد اراد ان من تلك الاصلاحات التي منحها للفلاحين ان يخلق له قاعدة شعبية كبيرة، لاسيما وان غالبية الشعب كانوا من السكان الفقراء والفلاحين الاقنان.

المبحث الأول الإصلاحات العسكرية والدينية وعملية الاغتيال عام ١٨٠١

اثر تعزيز الانضباط في عهد الامبراطور بولس الاول على جوانب مختلفة من الحياة العامة داخل المجتمع الروسي، وعلى وجه الخصوص الجانب العسكري، فقد ادخل بولس الاول بعض الاصلاحات في هذا المجال، اذ قام بمراجعة لوائح بطرس البحرية، واقر لوائح عسكرية جديدة، حدد بموجبها مدة خدمة المجندين بخمس وعشرون عاما، على ان يتقاضوا بعدها راتبا تقاعديا لمدة عشرين عاما[٢٢]. واستبدل الزي القديم للجيش الروسي الذي قدمه الامير غريغوري الكساندروفيتش بوتمكين Potemkin Grigory Alexandrovich ١٧٣٧-١٧٩١[٢٣]، المفضل لدى الامبراطورة كاترين الثانية، بالزي الرسمي الضيق والاحذية والشعر المستعار، مقتديا بالطريقة البروسية، اذ انه كان معجبا بملكهم فردريك الثاني Frederick II ١٧٤٠-١٧٨٦[٢٤]، فضلا عن ابتكار معاطف جديدة للجيش مصنوعة من جلود الاغنام والتي حمت الكثير من الجنود الروس، بخاصة اثناء قيام الحرب الوطنية الروسية التي قامت عام ١٨١٢[٢٥]وبعد ذلك اتجه لبناء الثكنات العسكرية خارج العاصمة سانت بطرسبورغ، واستحدث وحدات عسكرية اخرى في الجيش والتي شكلت ركنا اساسيا داخل المؤسسة العسكرية الروسية، تمثلت بوحدات الهندسة العسكرية لتخزين البريد السريع

وتنظيم الاتصالات داخل تلك المؤسسة، فضلا عن استحداث وحدة رسم الخرائط، وذلك لحاجة الامبراطورية الروسية الملحة لتلك الخرائط[٢٦]، خاصة اثناء العمليات الحربية، وكذلك لرغبة الامبراطور في تصحيح الخرائط القديمة واستحداث خرائط جديدة عوضا عنها، وفي الثامن من اب عام ١٧٩٧ انشأ هيئة منظمة تكونت من اثنان وعشرون عضوا، مهمتها نقل وتطوير الخرائط الجديدة، والاحتفاظ بجميع المستندات الرسومية والنصية والمسوحات الطبوغرافية والجيوديسية وغيرها من المسوحات التي تشمل جميع اراضي الامبراطورية الروسية[٢٧]ويمكن القول ان الامبراطور اولى اهتماما ملحوظا في الجانب الخارجي للشؤون العسكرية، لاسيما التدريب على القتال في الجبهات، وامر ضباط الصف بتشخيص الاخطاء التي يرتكبها الجنود اثناء استخدامهم السلاح وتصحيحها لهم، وفي حال معرفة الجندي ما يجب عليه فعله ولكنه ارتكب خطأً متعمدا فيجب معاقبته، وشدد على الضباط واعلن ان العقاب سيكون شديدا لأدنى الاخطاء[٢٨]، قد يصل في بعض الحالات الى ازالة رتبة الضابط وتحويله الى جندي وبالعكس، وقام بطرد الضباط الذين كانوا مسجلين اسميا ضمن تشكيلات الجيش، لكنهم لم يكونوا ملتحقين ضمن الوحدات العسكرية لسنوات عديدة، الامر الذي ادى الى خلق جو من التوتر بين الضباط انفسهم، وفي الوقت ذاته سمح للجنود بتقديم الشكاوى والالتماسات نتيجة الانتهاكات التي يمارسها القادة ضدهم[٢٩] ويذكر ان بولس الاول اجرى عملية قمع واسعة النطاق داخل الجيش وشملت طرد اكثر من ثلاثمائة جنرال وحرمانهم من الخدمة وارسالهم الى المنفى، وكان من بينهم قادة عسكريين حققوا مسيرة مهنية رائعة امثال بوتمكين القائد سوفوروف **Alexander Suvorov** ١٧٢٩–١٨٠٠[٣٠]، نتيجة الاختلاف مع سياسة الامبراطور الجديد وانتقادهم للنظام البروسي الذي ادخل على الجيش الروسي، ولم يكن الانتقال من الخدمة العسكرية الى الخدمة المدنية ممنوعا، الا انه لم يتم تشجيعه وكذلك الغيت ممارسة تسجيل النسل الشاب النبيل في المؤسسات العسكرية والذي كان يضمن لهم تلقائيا حصولهم على رتبة ضابط[٣١]وعلى اثر تلك التطورات اخذ بولس الاول بتنظيم كل شيء تحت اشرافه، وذلك بهدف ايقاف الفوضى التي مارسها القادة في الجيش، وشملت الاصلاحات هذه المرة قسم شؤون الموظفين في المؤسسة العسكرية، وحتى التعيينات في الرتب والانتقال من منصب الى اخر، فضلا عن انه امر ان ترسل تقارير شاملة اليه كل اسبوعين، تضم حالة القوات مع قوائم تحتوي على اسماء الضباط ومعلومات حول العقوبات المفروضة على اية انتهاكات للأنظمة العسكرية، كما قام بتبسيط اجراءات اصدار الاوامر الادارية، لغرض ارساء النظام في الجيش بالسرعة الممكنة، للحفاظ على السلام الداخلي للبلاد[٣٢]واخيرا امر الامبراطور بتقسيم الجيش الى اربع مجموعات وقسمت تلك المجموعات الى اثنى عشر فوجا، وزعت على الاتجاهات الستراتيجية الرئيسية للدولة من اجل فرض السيطرة على جميع انحاء البلاد، وبذلك فان الامبراطور انفرد شخصيا في اتخاذ القرار وانشاء نظام ادارة مثالي بناءً على التقارير الواردة بمشاركة مكتب الحملة العسكرية لصاحب الجلالة الامبراطوري، والذي تم تأسيسه في عام ١٧٩٧يتضح مما تقدم انه من المستحيل القول ان الاصلاحات التي ادخلها الامبراطور الجديد في المجال العسكري كانت سيئة، وذلك لان الجيش بات محتاجا لمثل بعض تلك التطورات، بخاصة فيما يتعلق بالحد من التعسف بالنسبة للجنود هذا من جانب، ومن جانب اخر فان ذلك الاصلاح سبب ارباكا لبعض القادة الكبار، لأنه حد من صلاحياتهم، الامر الذي سبب استياء شديد من قبلهم تجاه الامبراطورونظرا لذلك يمكن القول ان الاصلاح العسكري ارتبط ارتباطا مباشرا بالإصلاح الديني، فمن الضروري الاشارة الى ان الصفات المميزة لرجال الدين العسكريين نشأت نتيجة تفاعل مؤسستين مؤثرتين داخل المجتمع الروسي هما الجيش والدين، اذ كانت الاصلاحات العسكرية للإمبراطور بولس الاول بمثابة تطور مهم لرجال الدين العسكريين المحليين، فبعد اقل من اسبوعين من انضمامه للسلطة وبالتحديد في التاسع والعشرين من تشرين الاول عام ١٧٩٦ اصدر مرسوما بشأن اعتماد لوائح عسكرية جديدة في الخدمة الميدانية، من خلال توزيع الضباط حسب السرايا داخل الفوج، وتقديم قائمة تضم رجال الدين العسكريين داخل كل فوج، لغرض مضاعفة رواتبهم، كما تم مضاعفة اعانات صيانة منازل الاساقفة التابعين للمؤسسة العسكرية.ومن اجل متابعة عمل رجال الدين العسكريين، امر الامبراطور بأرسال كهنة للخدمة في القوات المسلحة اي بمثابة مكتب ديني يأخذ على عاتقه تولي مهمة الشؤون الروحية للجيش، الذي انشئ بمرسوم شخصي من قبل الامبراطور نفسه في اب عام ١٨٠٠[٣٣]. ووفقا لتقسيم الجيش قسم رجال الدين الى اربعة عشر مفتشا، موزعين على جميع الوحدات العسكرية، بهدف القيام بتفتيش ومراقبة الكنائس التابعة لتلك المؤسسة وفرض رقابة صارمة عليها، فضلا عن الاتصال بجميع الرتب العسكرية للاطلاع على كل ما يتعلق بالسلطات الروحية داخل المؤسسة العسكرية، وعمل هيكلا اداريا روحيا للقوات المسلحة لغرض تشجعهم على العمل المستمر من اجل خدمة بلادهم[٣٤]

يبدوا مما تقدم ان الامبراطور بولس الاول كان يطمح من وراء تلك التغييرات الى ربط المؤسسة العسكرية بشكل روحي مع الكنيسة، من اجل الالتزام بالمعتقدات والتعاليم الدينية اثناء قيامهم بأداء واجباتهم تجاه بلادهم، وبالتالي تصبح السلطة العليا مسيطرة بشكل تام على روسيا من جميع الاتجاهات. اما فيما يخص الكنيسة الارثوذكسية والحياة الدينية فأنها اصبحت على ارتباط وثيق بسياسة الدولة الروسية، فكان لزاما على امبراطور روسيا اعادة النظر في تنظيم الكنيسة بما يتناسب وسياسة الدولة الجديدة، لذلك اخذ يسعى جاهدا من اجل خضوع الكنيسة لسلطة الامبراطورية،

واطلق عليه رسميا لقب رئيس الكنيسة، وفي عام ١٧٩٦ اصدر مرسوما والذي بموجبه يحتم على الوريث ان يعتنق الارثوذكسية اولا، وبناءً على ذلك الشرط كانت وجهات النظر الدينية بالنسبة لبولس الاول اكثر اهمية من سياسة الدولة[٣٥].وتأسيسا على ذلك فقد احتلت قضية الكنيسة الروسية مكانة مهمة في السياسة الدينية لبولس الاول، وخلال مدة حكم الاخير القليلة اصدر الفان ومئتان وثمان واربعون نصا قانونيا دينيا، واثر مئة وسبع وعشرون منها بشكل مباشر على الكنيسة، وكانت اغلبها موجهة الى مجلس الشيوخ والمجمع الكنسي، ففي الوقت الذي اخذت فيه السلطة الدينية لرجال الدين تتراجع في عهد الامبراطورة كاترين الثانية، اذ كانوا في وضع مالي صعب للغاية، وانخفض مستوى تعليم الكهنة الى حد كبير[٣٦]. اذ رأى بعد اعتلائه للعرش ان يغير اوضاعهم بشكل نوعي، فاصدر عددا من المراسيم التي اعفى بموجبها الكهنة من دفع الكثير من الرسوم والضرائب، كما زاد من عدد اراضيهم وامر ابناء الكهنة بزراعة اراضي الكنيسة المتزايدة، الذين بدورهم كانوا ينظرون الى تلك القرارات بشكل سلبي، ولحل تلك الازمة امر الامبراطور بنقل ملكية اراضي الكنيسة الى ملكية ابناء الرعية بشرط الدفع العيني لاحقا للكهنة، وبذلك فقد تحسن الوضع المالي لرجال الدين بشكل ملحوظ، وسمح بتعيينهم في المناصب الدينية والعلمانية، من خلال جهاز الدولة المتنامي باستمرار، والذي تم تجديده بصورة تدريجية على حساب النبلاء[٣٧]ويذكر ان الكنيسة الأرثوذكسية كانت تعد واحدة من اغنى الكنائس في هياكل الدولة، ويعود السبب في ذلك الى انها تسيطر على موارد مادية وبشرية كبيرة، اذ قامت الكنيسة بعدد من الوظائف الاجتماعية المهمة، كتنظيم الزواج والعلاقات الاسرية، واخبار السكان بالأحداث المهمة وحالات الطوارئ، فضلا عن ايلاء اهتمام كبير لتطوير التعليم الروحي، الذي لم يكن ضامنا للسلام العام فحسب، وانما كأساس ايديولوجي للسلطة ايضا، وبذلك يكون رجال الدين قد حصلوا على دورا مشرفا في خدمة المجتمع تمثل في الحفاظ على الحالة الاخلاقية للناس[٣٨]ومن المهم التنويه الى ان الامبراطور الجديد اهتم منذ عام ١٧٩٦ برفع المكانة الاخلاقية لرجال الدين، اذ تم اعفائهم من العقوبة البدنية المترتبة على الجرائم الجنائية، ولم يعاود العمل بها مجددا الا بعد عام ١٨٠٠، كما تم انشاء شارات خاصة لرجال الدين، تمثلت بصليب صدري ثمين، وتاج باهض الثمن، واصبح للكهنة الحق في منح شارات الاوامر والاشرطة والخيوط لمن يرغبون من الرعية، وبذلك اصبح رجال الدين طبقة مميزة متساوين مع النبلاء[٣٩].وتجدر الاشارة الى انه كان على بولس الاول ان ينظم العلاقات مع الكاثوليك، اذ تألفت المقاطعات الغربية للإمبراطورية الروسية من الاراضي الليتوانية والبيلاروسية والاوكرانية التي تم ضمها الى روسيا نتيجة للتقسيم الثلاثي للكومنولث البولسندي في عهد الامبراطورة كاترين الثانية، وفي حقيقة الامر ان البنية الطائفية في تلك المناطق كانت مختلفة تماما عن بقية ارجاء روسيا، ومن المؤكد ان المنافسة الاكثر خطورة على الكنيسة الارثوذكسية والتوحيدية في تلك المدة كانت الكاثوليكية[٤٠]. اذ تمثلت الطائفية في اتجاهين، الاول تجسد بالطبقة الارستقراطية الاقلية التي اعلنت اعتناقها الكاثوليكية، اما الثاني فقد تمثل بالسكان ممن يدفع الضرائب واعلنوا التوحيد، فضلا عن ذلك كانت هناك مجتمعات لوثرية ومسلمة في المقاطعات الغربية، كل ذلك ساهم في ظهور تناقضات بين الاديان، احتاج الى تدخل فوري من قبل السلطة المركزة لروسيا[٤١].

ولغرض حل تلك الازمة وعدم قيام حرب طائفية امر الامبراطور بأنشاء مجمعات ارثوذكسية طوعية اخذت على عاتقها مهمة تحويل الجزء الاكبر من السكان في تلك المناطق الى الارثوذكسية، اذ ساهمت اساليب التبشير التي قامت على نطاق واسع الى حل تلك الازمة، عن طريق اعتناق اعداد كبيرة من الكنائس ورجال الدين والرعية الارثوذكسية، الامر الذي ادى الى تضائل اعداد الديانات الاخرى، وبالتالي سيطرت السلطة على تلك المناطق التابعة لروسيا[٤٢]يتضح مما تقدم انه في تلك الفترة تحسنت اوضاع رجال الدين، وزادت المسؤوليات المناطة اليهم، وتنافسوا في المكانة مع النبلاء، لدرجة انهم رضوا كل الرضا عن الامبراطور الجديد. ومن ناحية فان موقف الاخير اتسم بالتسامح تجاه الطوائف والاقليات الدينية المتواجدة في المناطق الغربية من روسيا مع مراعاة دعم سلطة الملك. وعليه فقد تسببت الاجراءات التي قام بها الامبراطور في استياء حاد من قبل المعارضين له، واخذوا يعملون على تطوير مشروع سري لأزالته من السلطة، وتحويل ولاية العرش الى ولده الكسندر الاول، ففي بداية الامر لم يكن الاخير راغبا في معرفة تفاصيل تلك المؤامرة، غير انهم نجحوا تدريجيا في اقناعه، بحجة ان البلاد اصبحت على حافة الانهيار، نتيجة لتصرفات والده، وان الشعب الروسي بات مجبرا على التطرف، فضلا عن ذلك فان قبولسه بتولي العرش بدلا عن والده ما هو الا اداء لواجبه الوطني بهدف انقاذ البلاد، واكدوا له ان حياة والده سوف تبقى بعيدة كل البعد عن الخطر، غير انه سوف يضطر ببساطة للتنازل عن العرش الى الوريث الشرعي[٤٣].وعلى ذلك الاساس اقتنع ولده الكسندر الاول المشاركة بتلك المؤامرة، ففي ليلة الحادي عشر من اذار عام ١٨٠١ دخل المتآمرون القصر الذي يقيم فيه بولس الاول، وعلى الرغم من اصرار الكسندر الاول انقاذ حياة والده واجباره التنازل عن العرش فقط، غير ان الامبراطور قد قتل بطريقة غامضة في ذلك اليوم، وبذلك فقد كان الكسندر الاول احد الاسباب الرئيسة في مقتل والده، ليتولى هو بدوره العرش في روسيا[٤٤].

الخاتمة

توصلت الباحثة من خلال دراسة موضوع البحث الى الاستنتاجات التالية.

•من الواضح ان السياسة التي اتبعها الامبراطور بولس الاول تعارضت مع المبادئ الاساسية في تطوير المجتمع التي تم تحديدها منذ عهد الامبراطورة كاترين الثانية.

•اتضح ان سياسة الامبراطور المناهضة للنبلاء تركته دون دعم من قبل الطبقة الارستقراطية وذلك يعد امر ضروري بالنسبة لصاحب السلطة المطلقة الامر الذي ادى الى انخفاض مستوى الثقة في قراراته.

•اظهرت الدراسة ان بولس الاول اختار الاهداف الصحيحة لكنه استخدم الاساليب الخاطئة لتحقيقها.

•اثبتت الدراسة ان اصلاحات بولس الاول وضعت اساسا للتطور السياسي في روسيا للنصف الاول من القرن التاسع عشر.

•نستنتج من خلال البحث ان القيود التي فرضها الامبراطور على المؤسسة العسكرية زادت من حجم المعارضة والكراهية تجاه شخصيته.

• يبدو ان الامتيازات التي منحت لرجال الدين والكنيسة ادت الى تفوق الاخيرة على سلطة النبلاء مما ادى الى انزعاجهم بشكل واسع النطاق وبالتالي دبروا مؤامرة للتخلص منه.

هوامش البحث

(١) امبراطورة روسيا ولدت في الثاني عشر من ايار ١٧٢٩ , تعود اصولها الى احدى عوائل امراء الالمان , تزوجت من الامبراطور بطرس الثالث, نالت اعجاب الروس، بخاصة بعد ان تعلمت لغتهم واعتنقت المذهب الارثوذكسي, قامت بالتآمر مع الحرس وعزلت زوجها عن الحكم وفرضت عليه الاقامة الجبرية في احد قصور الامبراطورية حتى وفاته، حكمت البلاد بقوة وسيطرت على السياسة الداخلية والخارجية للبلاد, واثبتت انها تستحق لقب العظيمة وبجدارة وانها خليفة بطرس الاول, اشتركت بتقسيم بولسندا عام ١٧٧٢ والتقسيم الثاني عام ١٧٩٣ وفي عام ١٧٩٥ مسحت بولسندا من الخارطة ولم تعاود بولسندا بعدها كدوله مستقله الا بعد مئة وثلاث وعشرون عاما, توفيت في السابع عشر من تشرين الثاني عام ١٧٩٦, للمزيد من التفاصيل ينظر:

William Benton , The new Encyclopedia Britannica, Vol 3 , Chicago , 1968 , PP . 1005 – 1006 .

(٢) امبراطور روسيا ولد في الاول من تشرين الاول عام ١٧٥٤ وهو ابن الامبراطور بطرس الثالث تكفلت بتربيته عمة ابيه اليزابيث، اعتلى العرش لمدة قصيرة قرابة ستة اعوام، غير خلالها الكثير من التعاملات مع الشعب الروسي، توفي في الثالث والعشرين من اذار عام ١٨٠١، للمزيد من التفاصيل ينظر:

A group of researchers, The Encyclopedia or French Revolutionary and Napoleonic wars a political social and military history, oxford united kingdom, 2006, , PP. 740–741.

(3) Фонвизин Д. И, Собрание сочинений, Москва, 1958, Т. II, С. 681.

(4) Семенова, Анна, Российский император Павел I Петрович, Русский, 2015, стр. 2-4.

(٥) امبراطور روسيا ولد في الثالث والعشرين من كانون الاول ١٧٧٧, حكم البلاد خلفا لوالده, وحفيد الامبراطورة كاترين الثانية, تتلمذ على يد المدرس فريدريش سيزار الذي اختارته له والدته تأثر بالمناورات العسكرية التي كان ينظمها والده, وكان يعاني من الشك الذاتي، لكن هذا لا يعني انه كان يمتلك الشخصية قوية خلال فترة حكمه. تولى العرش في اذار عام ١٨٠١ عقب اغتيال والده, ولعب دوراً فاعلاً في السياسة الخارجية, اذ ادرك جيداً بان روسيا لها دوراً فاعلاً في اوروبا, وكان عضواً فاعلاً في التحالف الاوروبي الثالث الذي عقد عام ١٨٠٤ ضد نابليون, ودخل العديد من المعارك ضد فرنسا, للتفاصيل ينظر:

John merriman , Jay winter , Europe 1789 to 1914 , Encyclopedia of the age of industry and empire , N.P , 2006, vol 1 , PP . 37 - 38 .

(6)Алексей Песков, Павел I, Московия, 2005, с. 121.

(7) Н. К. ШильДЕРА, ПАВЕЛЪ ПЕРВЫЙ, С ПЕТЕРБУРГЪ, 1901, С. 31-33.

(8) Пометки Павла Петровича на полях рукопи си Рассуждение о государстве вообще 1777 Русская старина 1888, №3, Сс. 745-748.

(٩) امبراطور روسيا، ولد في العاشر من شباط عام ١٧٢٨، في دوقية هولشتاين مدينة كيل الالمانية، والدته انا بتروفنا الابنة الكبرى للإمبراطور بطرس الكبير، نشأ داخل بيئة المانية تحمل ثقافة بروسية، في عام ١٧٤٢ دعته عمته الامبراطورة اليزابيث بيتروفنا للاستقرار في روسيا اذ اعتنق الأرثوذكسية، وفي عام ١٧٤٥ تزوج من الاميرة كاترين الثانية، اصبح امبراطور لروسيا لمدة ست اشهر من في الخامس والعشرين من ديسمبر ١٧٦١، ولغاية الثامن والعشرين من حزيران عام ١٧٦٢،توفي في السادس من تموز في العان نفسه، للمزيد ينظر:

Павленко, Николай, Петр III, Проспект, 2017,Сс 2-40.

(11) Stanislavskaya A.M, Russko angliyskiye otno sheniya i problemy Sredizemnomor'ya: 1798-1807 gg, Москва, 1962, Сс. 159-160.
(12) Скоробогатов А.В. 2015. Коронация императора Павла I образ монарха в церемониальной культуре эпохи просвещения. Москва, без дат, С. 2-16.
(13) Н. Қ. ШильДЕРА, Там же, С. 40.
(14) Скоробогатов А.В, Там же, С. 2.
(15) Семенова, Там же, С. 10.
(16) Санглен Я.И,Записки.Русская старина, Москва, 1882, Т.XII, С. 501.
(17) Дружинин, Н. М, Государственные крестьяне и реформа, Москва, 1946, Т. 1, С.636.
(18) Семенова, Там же, С. 10.
(19) Милов, Л. В, Советская историческая энциклопедия, Санкт Петербур, 1976, Т. 10, С. 380.
(20) С. С. Шумигорскаго, ИМПЕРАТОРЪ ПАВЕЛЪ ЖИЗНЬ И ЦАРСТВОВАНІЕ, С ПЕТЕРБУРГЪ, 1907, Сс. 101-107.
(21) Свод законов Российской империи повелением государя императора Николая Павловича составленный, Т. 9, Свод законов о состоянии людей в государстве, Санкт-Петербург, 1832, 5, С. 447.
(22) Емельянов С.Н, Михайлов В. В, Быт и служба россий ского военного духовенства конца XIX начала XX века, Москва, 2017, Сс. 16-27.

(٢٣) احد ابرز الشخصيات في التاريخ الروسي، ولد في موسكو من عائلة بسيطة، اكمل تعليمه في جامعة موسكو، برز في الانقلاب الذي قادته الامبراطورة كاترين الثانية للسيطرة على العرش عام ١٧٦٢، وتميز بقدراته الادارية الجيدة، واصبح من المقربين للإمبراطورة كاترين الثانية، تولى ادارة شؤون الجنوب الروسي، وكان مشرفا على تطوير الاسطول الروسي في البحر الاسود، وخاض عددا من الحملات العسكرية الناجحة ضد الدولة العثمانية، للمزيد من التفاصيل ينظر:

.Соловьёв, С.М. История России с древнейших времён. Том XXVII. Москва: Наука, 1991, Сс. 120-128.

(٢٤)ملك بروسيا الملقب فردريك الكبير، ولد في بروسيا عام ١٧١٢، ويعد من الشخصيات المهمة في التاريخ الاوربي، وتأثر بفلاسفة التنوير الفرنسيين، امتازت مدة حكمه بتحولات جوهرية في بنية الدولة البروسية، ادى دورا فاعلا في اعادة تشكيل التوازن السياسي في اوروبا خلال القرن الثامن عشر، توفي عام ١٧٨٦، للتفاصيل ينظر:

Blanning, Timothy C. W. Friedrich der Große: König von Preußen. München: C.H. Beck, 2012, Pp. 40-80...

(25) Жукович А, воспоминаний пленного священника, Москва, 1916, Сс. 15-16.
(26) Емельянов С.Н, Михайлов В. В, Там же, С. 25.
(27) Лушин А. Н., Чудецкая К. А, Законодательство Российской империи о деятельности военного духовенства сухопутных войск: вторая половина XIX века, Москва, 2019, Сс. 34–38.
(28) Емельянов С.Н, Михайлов В. В, Там же, Сс. 25–27.
(29) Жукович А, Там же, С. 13.

(٣٠) قائد روسي عظيم وبطل روسيا القومي والقائد العام للقوات البرية والبحرية الروسية , حصل على كافة الاوسمة الفخرية الموجودة في ذلك الوقت واحد مؤسسي الفن العسكري الروسي , ولد في موسكو كانون الثاني ١٧٢٩ , وفي عام ١٧٤٢ التحق كجندي للخدمة العسكرية في القوات البرية , وفي عام ١٧٤٨ نال رتبة عريف خدم في فوج سيمينوف لمدة ست سنوات ونصف , استمر في اكمال دراسته في تلك الفترة وتعلم عدة لغات , وكان والده مؤسس اول قاموس عسكري روسي , شارك في الحروب الروسية التركية الاولى برتبة جنرال , حقق العديد من الانتصارات ابرزها في عام ١٧٨٨ في معركة اوشاكوف , عاشر ثلاث اباطرة روس اليزابيث الاولى – كاترين الثانية – بولس الاول , شارك في قمع الانتفاضة التركية واحتل الحصن التركي ١٧٩٠ , عام ١٧٩٤ قمع الانتفاضة في بولسندا وباحتلاله وارشو رقي لرتبة مارشال , عينه الامبراطور بولس الاول قائداً للقوات الروسية والنمساوية في فترة تشكيل التحالف الثاني ضد فرنسا, عام ١٧٩٩ انتقل إلى شمال ايطاليا وحرر الشمال الايطالي , كان قائداً عسكرياً باهراً تدرب على يده اشهر الجنرالات مثل كوتوزوف انتصر في كل المعارك التي قادها , للاطلاع ينظر :

Петрушевский.А. Генералиссимус князь Суворов , Санктпетерпургъ , 1884 , С . 16 .

(31) С. С. Шумигорскаго, Там же, С. 182.

(32) Жукович А, Там же,С.14.
(33) Полное собрание законов Российской империи, Санкт-Петербург II отде-
ление, С. Е. И. В. канцелярии, 1830.
(34) Каменский А.Б, От Петра I до Павла I, Москва, 2001, С. 575.
(35) Клочков М.В, Очерки правительственной деятельности Павла I, Петро, 1916, С. 631.
(36) Каменский А.Б, Там же, С. 576.
(37) Окунь С.Б, История Но СССР. Конец XVIII начало XIX века, Ленниград, 1975, С. 120.
(38) мотова Е.П. Законодательство Павла I:структура,специфика,значение. Нижний Новгород, 2021. С.26 .
(39)Момотова Е.П. Нормативные правовые акты в церковной сфере,изданные в период правления Павла I: структура и общая характеристика. 2018. 4. Сс. 154–160.
(40)Томсинов В.А, Законодательство императора Павла 1, Москва, 2008, С. 204.
(41) мотова Е.П. Там же, Сс. 158-160.
(42) Момотова Е.П. Там же, Сс. 158-160.
(43) С. С. Шумигорскаго, Там же, С. 194.
(44) Захаров, Владимир , Император Павел I и Орден Святого Иоанна Иерусалимского, Московия, 2020, С. 4.

قائمة المصادر:

اولا الوثائق غير المنشورة:

1.Свод законов Российской империи повелением государя императора Николая Павловича составленный, Т. 9, Свод законов о состоянии людей в государстве, Санкт-Петербург, 1832, 5.
2.Пометки Павла Петровича на полях рукопи си Рассуждение о государстве вообще 1777 Русская старина 1888, №3.
3.Полное собрание законов Российской империи, Санкт-Петербург II отде- ление, С. Е. И. В. канцелярии, 1830.

ثانيا المصادر الاجنبية:

أ باللغة الروسية:

1.Фонвизин Д. И, Собрание сочинений, Москва, 1958, Т. II.
2.Томсинов В.А, Законодательство императора Павла 1, Москва, 2008.
3.Соловьёв, С.М. История России с древнейших времён. Том XXVII. Москва: Наука, 1991.
4.Скоробогатов А.В. 2015. Коронация императора Павла I образ монарха в церемониальной культуре эпохи просвещения. Москва, без дат,.
5.Семенова, Анна, Российский император Павел I Петрович, Русский, 2015.
6.Санглен Я.И,Записки.Русская старина, Москва, 1882, Т.XII.
7.С. С. Шумигорскаго, ИМПЕРАТОРЪ ПАВЕЛЪ ЖИЗНЬ И ЦАРСТВОВАНІЕ, С ПЕТЕРБУРГЪ, 1907.
8.Петрушевский.А. Генералиссимус князь Суворов , Санктпетерпургь , 1884.
9.Павленко, Николай, Петр III, Проспект, 2017.
10. Н. К. ШильДЕРА, ПАВЕЛЪ ПЕРВЫЙ, С ПЕТЕРБУРГЪ, 1901.
11. Окунь С.Б, История Но СССР. Конец XVIII начало XIX века, Ленниград, 1975.
12. Момотова Е.П. Нормативные правовые акты в церковной сфере,изданные в период правления Павла I: структура и общая характеристика. 2018. Т. 4.
13. Лушин А. Н., Чудецкая К. А, Законодательство Российской империи о деятельности военного духовенства сухопутных войск: вторая половина XIX века, Москва, 2019.
14. Клочков М.В, Очерки правительственной деятельности Павла I, Петро, 1916.
15. Каменский А.Б, От Петра I до Павла I, Москва, 2001.
16. Захаров, Владимир , Император Павел I и Орден Святого Иоанна Иерусалимского, Московия, 2020.
17. Жукович А, воспоминаний пленного священника, Москва, 1916.
18. Емельянов С.Н, Михайлов В. В, Быт и служба россий ского военного духовенства конца XIX начала XX века, Москва, 2017.
19. Дружинин, Н. М, Государственные крестьяне и реформа, Москва, 1946.
20. Алексей Песков, Павел I, Московия, 2005.

21. Stanislavskaya A.M, Russko angliyskiye otno sheniya i problemy Sredizemnomor'ya: 1798-1807 gg, Москва, 1962.

ب باللغة الفرنسية:

1. Blanning, Timothy C. W. Friedrich der Große: König von Preußen. München: C.H. Beck, 2012.

ثالثا الموسوعات:

أ باللغة الروسية:

1. Милов, Л. В, Советская историческая энциклопедия, Санкт Петербур, 1976, Т. 10.

ب باللغة الانجليزية:

1. William Benton , The new Encyclopedia Britannica, Vol 3 , Chicago , 1968.
2. John merriman , Jay winter , Europe 1789 to 1914 , Encyclopedia of the age of industry and empire , N.P, 2006.
3. A group of researchers, The Encyclopedia or French Revolutionary and Napoleonic wars a political social and military history, oxford united kingdom, 2006.